

أفراح الأجنال



أبهة الملك وجلاله

ليالى ألف ليلة وليلة



أفراح أنجال الباشا^(*)

تمثل الأفراح لدى المصريين سواء الأغنياء منهم أو الفقراء مكانة هامة تبرز فيها الكثير من العادات الموروثة والمستحدثة، فالبحت عن بنت الحلال التي تسعد زوجها، وتريح قلبه، وتحفظه بحسن تدبيرها، وتكون سترًا له في الدنيا من الأمور التي تهفو إليها القلوب.

وإذا كانت أفراح أنجال الباشاوات تتميز بالبذخ الزائد، والتنافس على تقديم الهدايا الثمينة وانفاق الأموال الكثيرة فإن أفراح أنجال العامة تتميز بالبساطة ويسودها التقاليد الشعبية التي يطغى عليها ضرب الدقوف والطبل البلدى والمزمار، وذغاريد النساء، ويظهر فيها الجدعان والفتوات من أبناء الحارة، وهم يتبارون بالنبايب ولعبون بالجريد والسيوف والرماح وإذا كانت بنات الباشاوات ينتقلن إلى بيت الزوجية من خلال مهرجانات ضخمة يتقدمها الفرسان والموسيقى العسكرية، ويتم خلالها توسعه الشوارع التي يسير فيها شوار العروس بعد تنظيفها ورشها بالماء، فإن العروس من بنات العامة كانت تحمل في هودج (تختروان) مغطى بشال كشمير، ومحمل على جملين زينت اعناقهما بقلائد حربية، وأجراس مختلفة في رقابها، وكانت الشوارع التي يمر فيها موكب العروس تضاء بالمشاعل والقناديل الصغيرة التي تسير خلفها الفلاحات في ملابسهن الزرقاء، وهن يصدرن أصواتا تعبر عن فرجهن حتى يتم الوصول إلى منزل العروسين وسط ضجيج وصخب كبيرين.

وإذا كان الذي يحضر حفلات عقد قران أنجال الباشاوات أمراء العائلة المالكة ونظار الحكومة وكبار العلماء والأعيان بملابسهم الجديدة الملفتة للنظر، وكان يقدم لهم أفخر المأكولات والمشروبات فإن الذي كان يحضر حفلات أنجال العامة هم العمال وأصحاب الجلابيب الزرقاء أمثال المعلم شلبى، والأسطى حنفى، وزعيط الفلاح وكانوا يجلسون القرفصاء أو على أقفاص من سعف النخيل حيث يتناولون المشروبات الشعبية، ويتعاطى بعضهم الأدخنة والحشيش وهم يستمعون إلى الأمثال العامية وإلى قصص أبو زيد الهلالي وعنتره.

وبينما كان يدعى لاهياء أفراح أنجال الباشاوات كبار الموسيقيين الذى يدفع لهم المبالغ الطائلة فإن أنجال العامة كانوا لا يدفعون أجرا للموسيقيين أو المهرجين خاصة إذا كانوا من أصدقائهم، أو كانت تدفع لهم النقود من الحاضرين الذين جاؤوا لدفع النقود والمساهمة فى تكاليف الفرح.

وبينما كانت الهدايا المقدمة لأنجال الباشاوات تمثل صورة من الحياة الطبقيّة الصارخة، فإن هدايا أنجال العامة كانت لا تزيد عن السكر والشربات والأرز والشمع والسمن والدجاج والأوز وبينما كانت تتفق الطائفة المبالغ الطائفة على الأطعمة الفاخرة التي يتناولها ضيوف أفراح أنجال الباشاوات من صحن المحمر والكباب والكفتة والفاكهة فإن ضيوف أفراح أنجال العامة كانوا لا يتناولون سوى العدس أو الببسيارة أو الفول بالإضافة إلى المش والجبن والفجل والمخلل.

وبينما كانت الشوك والملاقع والسكاكين تستخدم فى قصور الباشاوات فإن العامة كانوا لا يعرفون طريقة استخدامها، بل يجلسون القرفصاء على الأرض، ويستعملون أيديهم وأصابعهم حيث كانت أسهل عليهم من استعمال أشياء لا يحسنون استخدامها.

أفراح أنجال الخديو إسماعيل:

وتعد أفراح أنجال الخديو إسماعيل من الأفراح القليلة التي ما زالت أصداء لياليها الباهرة تتردد فى أذهان المصريين نظرا لما عاشته مصر خلال أيامها الأربعين من احتفالات فخمة، وإسراف اسطورى لم تر مثله فى عصرها الحديث، والتي ذكرت الناس بليالى ألف ليلة وليلة، وباحتفالات قطر الندى ابنة "خماروية" أمير مصر الطولونية بالخليفة العباسى "المعتضد" فقد تشابهت ليالى أفراح أنجال الباشا مع هذه الأفراح، من حيث البذخ الشديد، وإقامة الزينات الفخمة وإعداد الموكب التي تعزف الجوقات الموسيقية الرائعة.

ففى حفل مهيب عقد الخديو إسماعيل قران أولاده الثلاثة، واحدى بناته فى وقت واحد، إذ عقد لولى عهده "محمد توفيق" على الأميرة "امينة هانم" بنت الهامى باشا ابن عباس الأول والتي

(*) نشرت هذه الدراسة بمجلة الهلال فى عدد سبتمبر ٢٠٠٢.

عرفت فيما بعد بأمر المحسنين وللأمير "حسين" والذي عرف فيما بعد بالسلطان حسين كامل والذي نصبه الانجليز سلطانا على مصر على الأميرة "عين الحياة هانم" بنت الأمير أحمد رفعت ابن ابراهيم باشا نجل محمد على الكبير، وللأمير "حسن" ثالث انجاله على "خديجة هانم" بنت الأمير محمد على وحفيده محمد على باشا مؤسس مصر الحديثة، كما زوج الخديوى ابنته الأميرة فاطمة الزهراء صاحبة اليد الطولى فى إنشاء الجامعة المصرية للأمير طوسون نجل محمد سعيد باشا ابن محمد على.

وقد بدأت أفراح الأنجال فى ١٥ يناير ١٨٧٣ واستمرت أربعين يوما كاملة باعتبار عشرة أيام لكل فرح منها، وقد اقيمت هذه الأفراح امام القصر العالى الذى كان تقيم فيه والده الخديوى وفي أرض قشلاق حرس القصر وحديقته والتي اطلق عليها بعد ذلك اسم المنيرة نظرا لاضاءتها بالأنوار طوال الأربعين ليلة، كما أصدر الخديوى إسماعيل أمرا بأن يطلق اسم افراح الأنجال على احد شوارع هذا الحى احتفالا بهذه المناسبة، وكرمز لاعظم فرح ارتدت فيه القاهرة أجمل ما لديها من حلى. كما فاقت مظاهر الاسراف والبدخ الوصف ما جعلها موضع أحاديث الناس فقد انفق الخديوى على هذه الأفراح وكما ورد فى الوثائق الرسمية مبلغ عشرة ملايين جنيه وسبعمائة وثلاثة وأربعون الف وخمسمائة وثلاثة وسبعون قرشا وثمانية عشر فضة وهو مبلغ بالغ الضخامة بالنسبة للعصر الذى انفق فيه، وبالنسبة للميزانية المصرية وقتذاك.

اعتبار أفراح الأنجال مناسبة قومية:

جعل الخديوى من حفل زواج أولاده الأربعة مناسبة قومية، فعطلت المدارس واستقبل الأهالى نبأ هذا القران بغبطة شديدة، وعم الفرح مدينة القاهرة بأكملها، كما شارك الآلاف من المصريين من كافة الطبقات سواء من كان منهم بالعاصمة أو من ظل فى اقليمه فى هذه الاحتفالات، وسارع بعضهم بعقد قران أولاده فى هذه الأيام احتفالا بهذه المناسبة الخديوية وقد تجلى البذخ خلال هذه المناسبة فى أوضح مظاهره، فزينت شوارع العاصمة بالثريات والقوانيس المختلفة الألوان، ووضع فى نهايتها أقواس نصر فى أشكال متعددة، ونصبت السرايدات الفخمة المزدانة بأفخر الرياش لاستقبال المدعوين الذين قدم لهم صنوف الأطعمة على مختلف أنواعها، كما وزع على الأهالى صحون نحاسية مملوءة بالأرز المطهى بخلصة رؤوس الضأن والعجول الصغيرة والذي أطلق عليه أرز إسماعيل وقدم لهم الخدم العصائر والحلوى والقهوة، ونشروا عليهم الماء المعطر برائحة الورد.

والى جانب ذلك اقيمت سرادقات فى العديد من الميادين، دعى اليها كبار المطربين والمطربات، واشهر العوالم والراقصات كما نصبت تخوت اللائحة التى استمرت تصدح وتشنف الأذان بأعذب الألقان وكان منها تخت عبده افندى الحمولى الذى كان يبعث فى الحضور طربا وانتعاشا، كما نصبت المسارح على بوابه قصر عابدين وسور حديقته، واقيمت المسارح المرتجلة التى جمعت غواة الفن من أنحاء القاهرة والأقاليم لتمثيل المسرحيات المضحكة، فكان البهلوانيون وفرق الحواة والقرافوز وخيال الظل يمدون حبالهم لعرض ألعابهم على الحاضرين، كما كانت الصواريخ تنطلق فى الليل بين تهليل الصبيان وصياحهم. واحتفاء بهذه المناسبة قدم الخديوى دعوة لطلاب المدارس للاشتراك فى تناول الأطعمة والحلوى، وسماع الموسيقى والأغاني، ومشاهدة الصواريخ التى تنطلق من حديقة الأزيكية التى تحولت ساحاتها إلى مولد حقيقى. وخلال ذلك ارسلت الهبات السينة التى وهبها الخديوى لمستحقيها، ووزعت الصنقات على الفقراء والمساكين، كما تتنافس الأمراء والذوات والأعيان فى التسابق إلى سرايات الخديوى لتقديم الهدايا الثمينة. وقد بالغ الخديوى فى منحه الأراضى لانجاله وأفراد أسرته والاقارب والاصهار وحتى الخدم والحشم ابتهاجا بهذه المناسبة.

وبينما كانت الاحتفالات فى شوارع العاصمة وميادينها قائمة على قدم وساق كانت هناك احتفالات خاصة فى سراى عابدين دعى إليها الأمراء والوزراء والأعيان وشيخ الأزهر، ورجال السلك الدبلوماسى من الشرقيين والأجانب وعقيلاتهم، وفيها اقيمت الولائم الفاخرة والمراقص الساهرة التى شارك فيها الخديوى بنفسه.

ولم يقتصر الأمر على تجمعات الرجال، بل شغلت قصور الحريم تجمعات النساء وقد شارك في أحياء هذه الليالي مشاهير المطربين ففي أماكن تجمع الرجال غنى عبده الحمولى ومحمد عثمان والمعلم شاكر أما في قصر الوالده باشا وغيره من القصور التي تجمع فيها النساء فقد غنت الماظ، والأسطى ساكنة، والوردانية، كما قامت امرأة تسمى بهلوانه بالسير فوق الحبل غير ارتفاع كبير وهى تحمل معها شاة صغيرة تقوم بنبحها وإلى جانب ذلك فقد أقيم بالعباسية مهرجان سباق للخيل، ومد فيه على نفقة الخديوى الخاصة مقصف للمدعوين، كما أقيم مرقص في قصر الجزيرة دعى إليه ما بين أربعة آلاف وخمسة آلاف من الأجانب وأعيان البلاد ووجهاتها واضيئت الطرق من عابدين إلى الجزيرة بفوانيس من الورق الملون.



جهاز العرائس:

وقد بلغ شوار العرائس من الفخامة مبلغا تجلت فيه نزعة إسماعيل في الشغب بالترف والاسراف والبيخ فكان جهاز كل عروس منسقا في ثلاث غرف فسيحة بالقصر العالي للمعرض على الأنظار وهو يتكون من أنواع لحلى المختلفة الأشكال، المرصعة بالجواهر والماس، هذا عدا الأواني الذهبية والفضية والمرايا وفناجين القهوة بزخرفتها الذهبية المحلاة بالجواهر، وفصوص الماس والياقوت. وكان كل جهاز من الجهيزات الأربعة يطاف به في أنحاء المدينة محملا على عربات تحت حراسة الجند الراكب تتقدمها فرقة موسيقية لارسالها إلى سراى العروس، وكانت الشوارع التي يمر بها تزدهم بجماهير الناس، وكذلك كانت شرفات المنازل والفنادق تغص بالمتفرجين الذين يهللون ويكبرون ويدعون للخديوى وانجالة بدوام العز والبقاء.

ولقد افاض مؤرخو عصر إسماعيل أمثال الياس الأيوبي، وأمين سامى في الحديث عن شوار العرائس وخط سيره فذكر صاحب تقويم النيل أن أول من خرج من شوار العرائس كان شوار الأميرة أمينة هانم زوجة الأمير محمد توفيق حيث انتقل إلى قصر القبة حيث يقيم العريس فسارت زفة الشوار عبر شوارع القاهرة في موكب عسكري تتقدمه جوقة موسيقية، وكان يتبع هؤلاء عربات المدعوين، وكانت العروس تركب عجلة الشريفة الكبرى يجرها ثمانية من الخيول البيضاء وكانت الهدايا موضوعة في أسبته مكشوفة فوق عربات مكسوة بالقصب على مخدات من القטיפ المزرکشة بالذهب والماس، يغطيها شاش فاخر يمسك بأطرافه أربعة جنود في كل عربة، ويتبعهم ضباط بملابسهم الرسمية، والسيوف مشهرة في أيديهم، وكان من بين الهدايا هدية الخديوى إسماعيل لابنه توفيق وهى عبارة عن سرير من الفضة الصب الخالصة شبيه بالذى أهداه إلى الامبراطور الفرنسي أوجينى زوجة نابليون الثالث أثناء اقامتها بمصر وكان محلى بماء الذهب، وعواميده الضخمة مرصعة بالماس والياقوت الأحمر النادر، والزمرد والفيروز.

وقد تبع هذا الموكب مواكب مشابهة تحمل شوار الاميرات عين الحياة، وخديجة، وفاطمة، والهدايا المهداة إليهن والسؤال الذى يطرح نفسه هو هل تم شراء جهاز الاميرات السابق ذكرهن من خارج البلاد ام من داخل مصر؟

الواقع أن الخديوى إسماعيل كان يفضل الشراء من المتاجر المصرية بدلا من الأجنبية، فعلى الرغم من رسو العطاء على محل "باسكال" الفرنسي فقد رأى إسماعيل ان يتم الشراء من المحلات المصرية بقوله إذا كانت المحلات والمتاجر المصرية لا تنتفع من أفراح أولادى فمن أفراح من تستفيد.

وعلى أى حال فقد تبارى الشعراء والكتاب في تأليف المنظومات والأدوار الغنائية المختلفة، فألف رفاعه الطهطاوى رسالة أدبية سماها "الكواكب النيرة في ليالى أفراح العزيز المقمرة" وصف فيها تلك الأفراح التي لم تعرف مصر قبلها أو بعدها مثيلا وقد بدأ رفاعه هذه الرسالة بمقدمة مدح فيها الخديو إسماعيل واتى على طريقته في تزويجه أولاده من بنات أعمامهم، ثم اخذ يتنى على كل أمير وزوجته خاتما ثناءه عليها بابيات تؤرخ هذا الزواج، فلكل زوج تهنئة باسمه، ولكل زوجة تهنئة أخرى باسمها كذلك.

كما وضع إسماعيل صبرى باشا، ومحمود سامى البارودى، والشيخ على الليثى، والشيخ عثمان الجندى، والشيخ محمد الدرويش وضعوا طائفة من أبداع الأغاني، كما تبارى رجال

الموسيقى فى وضع المقطوعات الخاصة بهذه المناسبة، وكان فى مقدمة هؤلاء الموسيقيين وقتذاك محمد ذاكر بك الذى وضع مارش أفراح الانجال، ومارش أفراح القبة، ومارش الهوانم.

وكان من أشهر المطربين الذين اشتركوا فى أحياء حفلات هذه الأفراح الشيخ محمد عبد الرحيم المشهور باسم المسلوب والشيخ محمد الشلشمنى، ومحمد عثمان، وأحمد صابر وعبد الحامولى، وأحمد صابر، ويوسف المنيلاوى، وعبد الحى حلمى، ومن أشهر العازفين محمد العقاد، ومحمد إبراهيم، وعبد الحميد القضاى، ومن المطربات الماظ والوردانية ونزهة.

وهكذا كانت أفراح انجال الباشا بمثابة بانوراما فنية سهرت فيها القاهرة اربعين ليلة شبيهة بليلالى الف ليلة وليلة التى أضحت امامهم حقيقة لآخيل ، خيل للناس خلالها أن هذه الأفراح هى أفراح الأمة بأسرها، فقد غنى الناس وزمروا وطبلوا فى هذه الأفراح الذين استهواهم صخبها وضجيجها، دون أن يدرك معظمهم أن ما ينفق فيها من أموال، وما يظهر من بذخ كان نتاج عرقهم وجهدهم وأن ما حدث من سفه وابتذال يغير حساب هو من أموالهم وأقواتهم وأنه سيكون فى النهاية خطرا على مسار الدولة الاقتصادى الذى يمكن أن يساعد على أفلاسها. وحتى لو عرف بعض هؤلاء المصير المنتظر ماذا كان يبدهم أن يفعلوه مع حاكم شرقى لا يسأل عما يفعل فقد حدث مثل ذلك من قبل أثناء احتفالات افتتاح قناة السويس ١٨٦٩ بل وأكثر منه حيث كان الخديو ينثر أموال الخزنة المصرية ذات اليمين وذات اليسار، ولم يستطع أحد أن يهمس ببنت شفاه .

وهكذا كانت حياة الشعب المصرى يكتنفها البؤس والحرمان مقابل النعمة والثراء والترف التى يعيشها هؤلاء الذين جعلوا من حفلات زواج انجالهم ومراسيمه معرضا للحفلات الاسطورية، ومصدرا للتفاخر والابهة مما أدى إلى استنزاف اموال الدولة بلا طائل سوى مظاهر خادعة ساعدت على تعرض أبناء مصر للفاقة والحرمان. وإذا كان ترف خمارويه وتبذيره خلال زواج ابنته قطر الندى وتجهيزها ومراسيم انتقالها إلى بغداد قد أدى ببيت مال مصر إلى الافلاس فإن الحفلات التى تمت خلال أفراح انجال إسماعيل باشا، والأموال التى صرفت من خلالها لاشك أنها اثرت على الخزنة المصرية التى كان مفتاحها فى جيب الباشا الخاص. ومع كل ذلك فإن هذه الأفراح قد بلغت من الشهرة ما جعلها تنتقل على السنة الناس جيلا بعد جيل حقيقة لقد كان عصر إسماعيل عصر المتناقضات فقد جمع بين القوة والضعف، والنور والظلمة، والازدهار والانهيار، والهناء والشقاء، والخصب والجذب، والعز والمذلة، والعدالة والظلم، ولكنه فى النهاية كان العصر الذى فتح أبواب مصر على مصراعها امام طوفان رأس المال الأجنبى الذى تسبب فى نهاية الأمور إلى سيطرة الاجانب على شئون البلاد.

وانتهى أمر هذه الأفراح، ولم تبق من ذكرها إلا لافتة صغيرة زرقاء الصقت على احد

جدران البيوت فى حى المنيرة، وكتب عليها شارع أفراح الانجال.

المصادر والمراجع التى تم الاستعانة بها فى هذه الدراسة:

- وثائق ديوان المالية الخاصة بلوازم المهرجان السامى، ومحفوظة رقم ١٤٩ ابحاث تحت عنوان "ملف البراءات الواردة للديوان قبل نوفمبر ١٩١٤" (دار الوثائق القومية).

- مذكرات عباس حلمى الثانى (عهدى).

- أحمد شفيق: مذكراتى فى نصف قرن ، ج-١.

- الياس الأيوبى: تاريخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل، ج-٢.

- امين سامى: تقويم النيل وعصر إسماعيل باشا.

- ستانلى لين بول: حريم محمد على باشا.

- عبد الرحمن زكى: القاهرة.

- محمود الحفنى: ثلاثة أعراس أودت بالخزنة إلى الافلاس.

- السياسة الاسبوعية السنة الثانية العدد ٦٤.

- مصر المحروسة، ج-١، أكتوبر ٢٠٠٠.



لافتة شارع «أفراح الانجال»

١٢ حكاية ريا وسكينة من أبرز القضايا النسائية في تاريخ مصر الحديث^(*)

شغلت هذه القضية رأى العام المصرى كثيرا، وعبر المصريون عن فجيعتهم فى بشاعتها خاصة وانها تجاوزت كل حدود الاعراف والطبائع البشرية وشكلت مشاهدها بواعث الرعب والهلع والفرع فى نفوس كل من عرف بها أو سمع عنها لما مثلته من همجية وبربرية وبلادة حس ووحشية لا حدود لها الأمر الذى جعل وقائعها مادة خصبة لكثير من الأعمال الدرامية سواء فى السينما أو المسرح أو التلفزيون.

لقد وقعت هذه الجريمة فى حى اللبان أفقر أحياء الاسكندرية وبلغ عدد المتهمين فيها عشرة أشهرهم ريا وأختها سكينة، وقتل فيها سبعة عشر امرأة فى الفترة ما بين نوفمبر ١٩١٩ ونوفمبر ١٩٢٠، دفنت جثثهن فى ثلاثة منازل فى أحياء الاسكندرية القديمة منها منزل اللبان الذى يقع بالقرب من قسم شرطة اللبان.

لقد كشفت لنا وقائع هذه الجريمة صورة الاسكندرية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، كما كشفت لنا احوال مصر فى حقبة تاريخية هامة فى حياتها، فقد استغلت عصابة "ريا وسكينة" ظروف انشغال الجهات الأمنية بظروف البلاد السياسية، وباشتعال حركة المقاومة ضد الاحتلال، وانشغال الزعامات الوطنية فى المطالبة بالاستقلال وتنفيذ مبادئ الرئيس الأمريكى "ولسن" الأربعة عشر التى تدعو إلى تقرير مصير الشعوب استغلت كل ذلك وقامت بجرائمها التى تعد من أفظع الجرائم التى سمع بها الانسان المصرى، لدرجة أن الأهالى الذين ذهبوا إلى المحكمة لمشاهدة محاكمة المتهمين أرادوا تمزيق الجناة إربا قبل تنفيذ أحكام القضاء فيهم، وفيما يلى عرض لمسلسل الأحداث .

تبدأ أحداث هذه الجريمة بنزوح ريا وسكينة من أعالي الصعيد إلى بنى سويف ثم إلى كفر الزيات ، هربا من فضيحة لحقت بريا وخشية من قيام أهلها بقتلها، وقد مارست ريا أعمال بنات الهوى فى كفر الزيات أما "سكينة" فكانت فتاة صغيرة، ولما اشتد عودها دخلت فى منازل المومسات وبعد ذلك احبها شخص يسمى "عبد العال" كما تزوجت "ريا" بشخص يسمى "حسب الله" كان يعمل فى مصنع للقطن ويشغل بالجرائم والسرقات.

سافرت "سكينة" إلى الاسكندرية وبعد ان استقرت بها لحقتها "ريا" وزوجها حيث استقروا بسكن هناك بجهة "الازاريتا" وهناك اتفقت الأختان على فتح بيوت للهو والفحشاء ونفذوا هذا العزم ففتحا جملة بيوت للدعارة منها بيت بسوق العصر سموه الكامب لأنه كان يوجد معسكر لقوات الاحتلال بالقرب منه، وبيتا بجهة جامع الفحام، وبيتا فى جهة جامع أخواص، وبيتا فى جهة العيونى، وبيتا فى شارع على بك الكبير، وبيتا فى مكوبس وراء مخبز اللبان وأنهم تعرفوا خلال ذلك على عرابى حسان احد الفتيات ليقيم بالتصدي لكل من يقف فى سبيلهم، كما تعرفوا على العرجى "عبد الرازق" وغيره ممن ثبتت اسمائهم فى التحقيقات.

وقد راودت هؤلاء فكرة استدراج النساء المتحليات بالذهب والمعادن الثمينة وقتلهن والاستيلاء على مصوغاتهن وما معهم من نقود.

تلقى البلاغات:

وفى غضون الفترة من بدايات يناير إلى ١٤ نوفمبر ١٩٢٠ ورد إلى بوليس قسم اللبان عشرة بلاغات عن اختفاء عشر نسوة من دائرة القسم المذكور، فتقدمت زينب حسن ببلاغ عن اختفاء ابنتها "نظلة ابو الليل" البالغة من العمر ٢٥ عاما، وكان هذا هو البلاغ الأول الذى بدأت معه ملاحم مذبحه النساء تدخل إلى أروقة بوليس الاسكندرية. قالت صاحبة البلاغ أن ابنتها "نظلة" اختفت من عشرة أيام، وانها كانت تترين بغوايش ذهب فى يدها وخلخال

(*) نشرت بمجلة الشرطة فى عدد يوليو ٢٠٠٦

فضة وخاتم وحلق ذهب وانتهى بلاغ الأم بأنها تخشى أن تكون ابنتها قد قتلت بفعل فاعل لسرقه الذهب الذى تتحلى به. وفى ١٦ مارس من نفس العام كان البلاغ الثانى الذى تلقاه رئيس نيابة "الاسكندرية" عن اختفاء "زنوبة" التى خرجت لشراء لوازم البيت ولم تعد إليه ! وقبل أن تتجه شكوك أجهزة الأمن نحو أحد، تلقت النيابة بلاغا من فتاة عن اختفاء أمها "زنوبة عليوة" بائعة الفراخ. وقد حددت صاحبة البلاغ اسم "سكينة" باعتبارها آخر من تقابل مع أمها. وفى نفس الوقت تتلقى أجهزة الأمن بالاسكندرية بلاغا من شخص يعمل جنائنى بمنطقة القبارى يؤكد فيه أن زوجته "نبويه" اختفت من عشرين يوما، كما تلقى بلاغا من نجار يذكر فيه اختفاء زوجته "فاطمة" التى تعمل شيخة مخدمين، وانها كانت تنزىن بالذهب ومعها مبلغ من المال، ثم كان بلاغ من اختفاء فتاة اسمها "قنوع" عمرها ١٣ عاما وبلاغ آخر من خواجة يدعى "وديع جرجس" يذكر فيه ان خادمته "لولو" خرجت لشراء أشياء من السوق ولم تعد. وتوالى البلاغات فجاء بلاغ عن اختفاء "سليمة" بائعة الكيروسين التى تسكن بمفردها فى حارة اللبان ثم بلاغ آخر من سيدة سودانية تذكر أن ابنتها "فردوس" اختفت فجأة وكانت تنزىن بمصاغ ثمنه ٦٠ جنيهها وزوج أساور ثمنه ٣٥ جنيهها وحلق قشرة، وقلب ذهب معلق بسلسلة ذهب وخاتمين حريمى.

وهكذا عاشت الاسكندرية فى جو من الفزع والرعب، فالبلاغات لم تتوقف والخوف يسيطر على كل البيوت، وحكاية عصابة خطف النساء انتشرت على كل لسان. وبدأت النيابة تحقق والشرطة تبحث وتتبع رحلة اختفاء هؤلاء النسوة، ولكن التحريات والتحقيقات لم تصل فى النهاية إلى اجابات محددة عن من هم الجناة حتى تتدخل عدالة السماء، وتحكم قبضتها وتكشف عن الجريمة اللغز.

بداية اكتشاف الجريمة:

فى صباح ١١ ديسمبر ١٩٢٠ تلقت الشرطة اشارة من عسكرى الدورية بشارع أبى الدرداء بانه عند قيام أحد الأهالى بالحفر فى بئر الصرف الصحى بمنزله عثر على جثة امرأة وبجوار الجثة عثر على طرحة من الشاش الأسود وفردة شراب سوداء مقلمة بأبيض، وأمام هذا البلاغ تحمس ملازم شاب بقسم اللبان واسرع إلى مكان الحادث حيث امر باستمرار الحفر ليكتشف فى النهاية أن "سكينة" هى التى كانت قد استأجرت الحجرة التى عثر فيها على الجثة وخلال ذلك لاحظ أحد المخبرين السريين المنتشرين فى كل أنحاء الاسكندرية بحثا عن مزيد من الأخبار انبعث رائحة بخور مكثفة من غرفة "ريا" الكائنة بشارع على بك الكبير، واكد المخبر ان دخان البخور كان ينطلق من الحجرة بشكل مريب مما أثار شكوكه فقرر أن يدخل الحجرة التى يعلم تمام العلم أن صاحبها هى "ريا" أخذت "سكينة" مما أصاب "ريا" بارتباك شديد خاصة بعد أن سألها المخبر عن سر اشعال هذه الكمية الكبيرة من البخور فى حجرتها. ونتيجة لذلك أسرع المخبر "احمد البرقى" إلى "اليوزباشى" ابراهيم حمدى نائب مأمور قسم اللبان ليبلغه عن شكوكه فيما رأى. وعلى الفور انتقلت قوة من رجال الشرطة إلى غرفة "ريا" ليجدوا انفسهم أمام مفاجأة كبيرة لقد شاهد الضابط رئيس القوة ان البلاط الموجود فوق أرضية الحجرة حديث التركيب خاصة فى جزء منها، ولما أمر بنزع هذا البلاط تصاعدت رائحة عفنة بشكل يصعب احتماله، كما ظهرت جثة امرأة عارية مما أصاب "ريا" بالهلع وازداد ارتباكها، وتوالى اخراج الجثث مما جعل "ريا" غير قادرة على الإنكار.

الاعترافات:

وهنا تضطر "ريا" إلى الاعتراف كما بدأت التحقيقات تكشف كيف كانت ريا تصطاد فرائسها؟ لقد اتضح من التحقيقات ان "ريا" كانت تذهب إلى سوق الخيط أحيانا، وتدنون من المرأة التى تراها متحلية بالذهب، وتحادثها فى أمر أن عندها بضائع مسروقة من الجمرك وتباع باثمان رخيصة وتشجعها على مشاهدة تلك البضائع بمنزلها وبعد أن يتم استدراجها تعد العدة لقتلها حيث يقوم محمد عبد العال وحسب الله زوجى ريا وسكينة واثنين آخرين معهما

غالبا بخنق الضحية او بكنم انفسها وسلب ما معها من مجوهرات ثم دفنها فى مكان الجريمة سواء كانت فى منزل "ريا" أو "سكينة".

وحيث أنه باستجواب "سكينة" امام النيابة قررت انها اشتركت بالاتفاق مع أختها "ريا" فى قتل عشرة نسوة من اللاتى وجدت جثثهن بالمنازل المذكورة وبأن مطلقها "محمد عبد العال" و"حسب الله" زوج "ريا" وعبد الرازق وعرابى صاحبهم شاركوهم فى ذلك كما قتلوا اخريات وقررت بأن المجنى عليهن كانت تخبى، بدعوة منها أو أختها "ريا" إلى تلك المنازل للالتقاء بالرجال حيث يكون هؤلاء المتهمون فى انتظارهن مستعدين باتفاقهم معها ومع أختها "ريا" على قتل تلك النسوة وسرقة ما يكون عليهن من مصوغات. ولأجل تسهيل قتلهن بواسطة من ذكروا من المتهمين كانت تقدم إليهن الخمور القوية المفعول لاسكارهن سكرًا شديدًا لا يستطيعن معه محاولة أى مقاومة أو استغاثة فكان أولئك المتهمون ينتهزون هذه الفرصة لاغتيا لهن بواسطة كنم النفس والخنق، وقررت أيضا بأن اقدمهم كان يخنق كل امرأة منهن بمنديل يشده حول عنقها أو بيديه بينما كان الآخرون ممسكين بيدها ورجليها وصدرها أو فمها لمنعها من إبداء أى حركة إلى أن ترهق روحها ثم يدفنون جثثهم بعد تجريدهن من مصوغاتهن وما يجدونه معهن من النقود، وكانت المصوغات تباع بعد ارتكاب الجرائم بمعرفة "سكينة" إلى أحد الصاغة، وتوزع أثمانها بينهم وحيث ان "ريا" اعترفت فى اقوالها امامه النيابة باشتراكها هى وسكينة كما اعترف باقى المتهمين بجرائمهم فقد حكمت المحكمة حضوريا باعدام كل من "ريا" و"سكينة" وحسب الله، و"محمد عبد العال" و"عرابى" و"عبد الرازق" بعقوبة الاعدام وحكم على الصائغ الذى كان يشتري الذهب من "ريا وسكينة" بالسجن مع الشغل لمدة خمس سنوات وبرائة باقى المتهمين.

هذا ما حكمت به المحكمة بجلستها العلنية المنعقدة بسرأى محكمة الاسكندرية الأهلية فى يوم الاثنين ١٦ مايو ١٩٢١.

وعندما صدرت هذه الأحكام صرخت "سكينة" فى رئيس المحكمة بقولها "أنا ولية لكن جدعة وحاشنى محل الجدعان" وقتلت ١٧ واستغفلت بوليس اللبان وغافلت الحكومة ثم نطقت بالشهادة، أما "ريا" فكانت منهاره وكان آخر طلب لها قبل الاعدام ان ترى ابنتها "بديعة" اما "حسب الله" زوج "ريا" فقد قال قبل اعدامه انه قتل ١٥ فقط وليس ١٧.

وفى ٢١ و ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢١ تم تنفيذ حكم الاعدام داخل سجن الاسكندرية، وبذلك طويت صفحة هذه القضية بتكتيكها الاجرامى بقتل ودفن القتل فى أرضية السكن بشكل احتار الخبراء فى تفسيره، وان ظلت حية فى نفوس أهل الفن وكتاب الدراما وقصص التاريخ.



ريا وسكينة أشهر الجرائم فى سجل الأمن المصرى